

سورة الحلق

مكية، وآياتها تسع عشرة
[وهي أول ما نزل من القرآن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ① ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ② ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ③ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ④ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ⑤

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم. محل ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل: بسم الله، ثم اقرأ. فإن قلت: كيف قال: ﴿خَلَقَ﴾ فلم يذكر له مفعولاً، ثم قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾؟ قلت: هو على وجهين: إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق، لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③﴾ [الرحمن: ١ - ٢ - ٣] ف قيل: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ مبهمًا، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تفخيماً لخلق الإنسان. ودلالة على عجيب فطرته. فإن قلت: لم قال ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقه، كقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر: ٦٧] قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ①﴾ [العصر: ٢]. ﴿الْأَكْرَمُ﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد إقرار العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، حيث قال: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ① عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ②﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما

لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دَوّنت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة؛ ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا؛ ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط، لكفى به. ولبعضهم في صفة القلم [من الكامل]:

وَرَوَاقِمُ رُقُشٍ كَمِثْلِ أَرَاقِمِ قُطِفِ الْخُطَا نَيْالَةَ أَقْصَى الْمَدَى
سُودِ الْقَوَائِمِ مَا يَجِدُ مَسِيرُهَا إِلَّا إِذَا لَعِبَتْ بِهَا بِيضُ الْمَدَى^(١)
وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم».

(١) للزمخشري - رحمه الله تعالى - في صفة الأقلام، وكان حقه أن يذكر في حرف الدال؛ لأن حروف الإطلااق وهي الألف والواو والياء الساكنات غير معتبرة في هذه الأبواب؛ وإنما أخرناه ليكون جزءاً للأقلام على عملها كما أن الأجير يوفى أجره بعد تمام عمله. والرواقم: جمع راقمة صفة للأقلام، وهو مجرور برب المقدر. وخبره قوله: كمثلي أرقام. أو قطف الخط؛ والأظهر أن الخبر قوله: ما يجد مسيرها. وإستاد الرقم إليها مجاز عقلي، لأنها آتة. والرقش: جمع أرقيش. أو رقاش: الحية المنقوشة الظهر. والأرقام - جمع أرقام الثعبان الذي فيه سواد وبياض. والقطف: جمع أقطف، وهو الذي يقارب بين خطاه. والخطا: جمع خطوة بالضم. والمدى، بالفتح: يطلق على المسافة وعلى غايتها. والسود: جمع أسود أو سوداء. والقوائم: الأرجل. والجدة بمعنى الاجتهاد أو ضد الهزل. والبيض: جمع بيضاء. والمدى؛ بالضم: جمع مدية، وهي الشفرة، ثم إنه شبه انتقاش الأقلام بانتقاش الحيات، فاستعار له الرقش على سبيل الاستعارة التصريحية؛ وشبهها بالأرقام بجامع التلون والامتداد يميناً وشمالاً وانتشاق لسان كل شعبتين وإلقائه اللعاب؛ فالجامع مركب حسي. وقيل: إنه من قبيل تشبيه المركب المحسوس بالمركب المحسوس بجامع الهيئات التي تقع عليها الحركة. وكرر أداة التشبيه للتوكيد، ثم شبهها بالدواب السائرة على طريق المكنية، بجامع التلون والتردد، والذهاب والإياب، والتوصل بكل إلى المراد، وإثبات القطف والخطو والقوائم: تخييل. وقيل: يجوز أن هذا من قبيل تشبيه المركب بالمركب أيضاً، وهي وإن كان سيرها قليلاً: تبلغ صاحبها مراده، وإن كان بعيداً فنسبة النبل إليها مجاز عقلي؛ لأنها آتة. وشبه المراد المعقول بالمقصد المحسوس، وهو آخر المسافة بجامع الاحتياج في إدراك كل إلى أسباب؛ فأقصى المدى: استعارة تصريحية: وهي ترشيح لتلك المكنية؛ وقوائم الأقلام: ما دق وطال من أطرافها، وهي سود دائماً؛ وإثبات الجدة للمسير مبالغة كجد جده. وشبه المدى بما يصح منه اللعب على سبيل المكنية، وإثبات اللعب تخييل هذا بيانه. وفيه من البديع بين الرواقم والأرقام شبه الاشتقاق، وبين «قطف الخطا» ونَيْالَةَ أَقْصَى الْمَدَى شبه التضاد؛ وبين السود والبيض، وبين الجد واللعب: طباق التضاد؛ وبين المسير ولعب المدى: شبه التضاد بحسب الظاهر؛ لأن المدى تبطل سير الحيوان إذا لعبت بقوائمها، لكنه مناسب للأقلام. وبين المدى والمدى: الجنس المحرق؛ وهذا مما يدل على أن المصنف - رحمه الله وعمره برضاء -: كان من مفلقين سحرة البيان، الحائزين قصبات السبق في هذا الميدان.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) ﴿أَن رَّاهُ أَشْتَقَى﴾ (٧) ﴿إِنَّ لَكَ رَجْعَى﴾ (٨) ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ (٩)
عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ (١١) ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ (١٢) ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾
وَتَوَلَّى﴾ (١٣) ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ﴾
خَاطِفَةٍ﴾ (١٦) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (١٨) ﴿كَلَّا لَا نُطْعِمُهُ وَنَأْسِدُ وَنَأْفِكُ﴾ (١٩)

﴿كَلَّا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿أَن رَّاهُ﴾ أن رأى نفسه. يقال: في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. و﴿أَشْتَقَى﴾ هو المفعول الثاني ﴿إِنَّ لَكَ رَجْعَى﴾ واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان، تهديدًا له وتحذيرًا ٢٦٨/٢ من عاقبة الطغيان. والرجعى: مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع. وقيل: نزلت في أبي جهل. وكذلك ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ وروي: أنه قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبًا، لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك، فنزل جبريل فقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاء عليهم (١٧٧٧). وروي عنه - لعنه الله - أنه قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فوالذي يحلف به، لئن رأيته توطأت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم، فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة فنزلت ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ (١٧٧٨) ومعناه: أخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله. أو كان أمرًا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح، كما نقول نحن ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد. فإن قلت: ما متعلق رأيت؟ قلت: الذي ينهى مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت: فأين جواب الشرط؟ قلت: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى؟ وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت: فكيف صح أن يكون ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾

١٧٧٧ - يبيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٤٧/٤) (١٥١٣). وقال ابن حجر: لم أجده.

قلت: وآخره تقدم في الإسماء بغير هذا السياق. انتهى.

١٧٧٨ - أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٣/٩) - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) - باب قوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٢٧٩٧).

والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦) - كتاب التفسير - سورة العلق (١١٦٨٣).

جواباً للشرط؟ قلت: كما صحَّ في قولك: إن أكرمتك أكرمني؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟ فإن قلت: فما رأيت الثانية وتوسطها بين مفعول رأيت؟ قلت: هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات، ثم قال ﴿لَئِنْ لَزُ بَنَدُ﴾ عما هو فيه ﴿لَتَنفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لناخذن بناصيته ولنسحبناه بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة. قال عمرو بن معدي كرب [من الكامل]:

قَوْمٌ إِذَا يَقَعُ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(١)

وقرئ: لتسفعن، بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود: لأسفعا. وكتبته في المصحف بالألف على حكم الوقف، ولما علم أنها ناصية المذكور: اكتفى بلام العهد عن الإضافة ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من الناصية؛ وجاز بدلها عن المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرئ: ناصية، على: هي ناصية، وناصية بالنصب. وكلاهما على الشتم. ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي. وهما في الحقيقة لصاحبها. وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ. والنادي: المجلس الذي ينتدي فيه القوم. أي: يجتمعون. والمراد: أهل النادي. كما قال جرير [من الطويل]:
لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهِبَ السَّبَالِ أَذْلَةٌ^(٢)

(١) لحميد بن ثور الهلالي الصحابي، أي: هم قوم إذا نفع الصريخ، أي: ارتفع الصياح للحرب أسرعوا إليها فتراهم دائرين بين ملجم مهرة وسافع، أي: قابض بناصية مهرة، ويجذبه إليه بسرعة. ومن زائدة؛ ولو كانت في الإثبات. وأو بمعنى الواو. ويروى: إذا يقع بالياء، أي: يحصل. ويروى: إذا هف، أي: صاح، فيكون كجد جده. ويجوز أن الصريخ بمعنى الصارخ. ويروى: إذا سمعوا الصريخ فهو مفعول. ويروى: ما بين ملجم. وهذا مما يؤيد أن «من» في تلك الرواية زائدة. ينظر: ديوانه ص ١٤٥، ولحميد بن ثور في ديوانه ص ١١١ وشرح التصريح ١٤٦/٢، وشرح شواهد المغني ٢٠٠/١، والمقاصد النحوية ١٤٦/٤، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢١٨/٨، وأوضح المسالك ٣٧٩/٣، وشرح الأشموني ٤٢٤/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٩، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٨، ولسان العرب (سفع)، ومعني اللبيب ٦٣/١.

(٢) لهم مجلس صهب السبال أذلة على من يعاديهم أشداء فاعلم يقول لهم مجلس يجتمعون فيه. أولهم قوم مجتمعون جالسون، ولا ترى ذلك إلا في الرؤساء الأشراف، وصهب السبال: صفة لمرجع الضمير في لهم على الأول، وصفة لمجلس على الثاني؛ لأنه بمعنى الجالسين. والصهب: حمرة ترهق السواد. والصهب: جمع أصهب. والسال: طرف الشارب جانب الفم، وتلك الصهب من خواص الروم، وهو كناية عن الغلظة والشدة، وأذلة: أي: فيما بينهم أشداء على من يعاديهم. وقدم المعمول للحصر. فاعلم ذلك وتيقنه فهو حق. ويروى بدل الشطر الثاني:

= سواسية أحرارها رعييدها

وقال زهير [من الطويل]:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنَاتٌ وَجُوهُهُمْ^(١)

والمقامة: المجلس. روي: أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ؛ فقال: أتهدّني وأنا أكثر أهل الوادي نادية، فنزلت (١٧٧٩). وقرأ ابن أبي عبلّة: سیدعی الزبانية، على البناء للمفعول، والزبانية في كلام العرب: الشرط، الواحدة، زنية، كعفريّة، من الزين: وهو الدفع. وقيل: زبني، وكأنه نسب إلى الزين، ثم غير للنسب، كقولهم أمسى؛ وأصله: زباني، فقليل: زبانية على التعويض؛ والمراد: ملائكة العذاب. وعن النبي ﷺ: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» (١٧٨٠) ﴿لَا تُلَاقِيَهُمْ﴾ أي: أثبت على ما أنت عليه من عصيانه، كقوله: ﴿فَلَا تُلَاقِيَهُمُ الْكَافِرِينَ﴾ [القلم: ٨]. ﴿وَأَسْبِغْ﴾ ودم على سجودك، يريد: الصلاة ﴿وَأَقْرَبْ﴾ وتقرب إلى ربك. وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد» (١٧٨١).

١٧٧٩ - أخرجه الترمذي (٤٤٤/٥) كتاب التفسير باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٩) والنسائي في «التفسير» (٧٠٤) وأحمد (٢٥٦/١) والطبري في «تفسيره» (١٦٤/٣٠) كلهم من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه بهذا وأتم منه. وهو عند الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة والبخاري كلهم من رواية أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قلت: وأصله في صحيح البخاري. انتهى.

١٧٨٠ - أخرجه البخاري (٧٤٥/٩) كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿لَا لِيَنْ لَّزَّ بَنُو لَسْتُمْ بِالْأَنصِيَةِ﴾ حديث (٤٩٥٨) والترمذي (٤٤٣/٥ - ٤٤٤) كتاب التفسير: باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٨) والنسائي في «التفسير» (٨١، ٧٠٥) كلهم من طريق عكرمة عن ابن عباس به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال الحافظ: أخرجه البخاري والنسائي من رواية معمر عن عبد الكريم الحريري، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وهو الذي قبله من قول ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

١٧٨١ - أخرجه مسلم (٣٥٠/١) كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود حديث (٤٨٢/٢١٥) =

= وسواسية كطواغية جمع سواء على غير قياس. وقيل: اسم جمع بمعنى مستوين. يعني: أنهم مستوون في الشرف وكمال الأخلاق، ولولا مقام المدح لكان من قبيل التوجيه، لاحتماله لوجه الذم أيضاً. وأما إن قرئ بالكسر والتشديد، فهو منسوب السواس وهو الثمرين على حسن السير، يعني أن جميعهم رؤساء، ولكن الأول أوجه. ومنه الحديث: «الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» كما في ترجمة شرح القاموس.

(١) البيت لزهير، ينظر ديوانه (٨٧)، البحر ٨٨/٥، العمدة لابن رشيق: ١٣٤/٢، اللسان (قوم).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفضل كله»
(١٧٨٢).

= وأبو داود (٢٣١/١) كتاب الصلاة: باب في الدعاء في الركوع والسجود حديث (٨٧٥) والنسائي (٢٢٦/٢) كتاب الافتتاح: باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «وهو ساجد» انتهى.
١٧٨٢ - تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: «أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مرة بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.